القفاز

قصة بوليسية

لمراسلنا حسنه باشو

كان البيت في طرف المدينة ، يبعد عن الطريق العام مسافة طويلة ، ويحجبه عن الانظار جدار عال من الحجر .

وكانت الساعة تقارب الثانية بعد منتصف الليل ، والظلام دامس شديد ، والطريق مقفر موحش .

وكان من السهل على (جيمس) ان يتسلق الجدار الى النافذة ليقفز منها بنفسه الى البيت ؛ ثم يتجه تواً الى الغرفة التي تتجمع فيها الكنوز الثمينة ، ليملأ منها جيوبه بدون أدنى حرج .

وبينما هو يتهيأ للخروج ، وقد جمع في ثيابه ثروة طائلة فوق اذنيه وقع خطوات وراءه وما ان دار على عقبيه حتى رأى الباب يفتح ويدخل منه التاجر (ريشار) ثم يصيح به مدهوشاً : جيمس !!

وكانت هي الكلمة الوحيدة التي فاه بها ! فقد هجم عليه (جيمس) حالا بعد ان انتضى خنجره الحاد ، وانتهى كل شيء بأسرع من البرق .

ثم ادخل الجثة الى الغرفة ؛ واغلق دونها الباب واطفأ النور واسدل الستائر وعاد كما اتى من النافذة .

* * *

كان جيمس يسرع الخطى في عودته ، وكانت دلائل الخوف والاضطراب تظهر جلية على محياه . لقد ارتكب في حياته الماضية جرائم كثيرة ، وترك وراءه عشر سنوات طويلة بالجنايات واحتقار القانون . لكنه لايذكر انه شعر في تلك الأيام بجزء مما يشعر به الآن من الهلع بعد ارتكابه جريمته الأخيرة ذلك لأنه كان في الماضي شقياً باسماً طريداً ، وهو اليوم صائغ محترم شهير في مدينة (برمتن) الصغيرة .

انه لم يتعمد ارتكاب تلك الجريمة ولكن الظروف دفعته اليها دفعاً .

لقد لجأ الى مدينة (برمتن) واستطاع ان يخلق لنفسه فيها مركزاً ممتازاً غبطه عليه الكثيرون فهو غني ومعروف من الجميع . لكن المصادفات شاءت ان يأتي الى تلك المدينة واحد من الأشخاص الذين تعرف اليهم في السجن في ايامه الماضية . فاكرمه جيمس ووعده بان يقدم له كل مايطلب شرط ان يكتم عن الناس حقيقة ماضيه المظلم التعيس .

وكثرت مطاليب ذلك الصديق ، فضاق بها جيمس ذرعاً لكنه تجاه التهديد المتواصل ، لم يستطع ان يظهر شيئا من التبرم فحاول ان يزيد دخله اليومي ، فما زاد الا توغلا في المصاعب واخيراً اشرف على الهلاك والخراب ، فلم يجد بداً من ان يعود الى تجارته الاجرامية الاولى عله بها يستطيع ان يخرج من المأزق الذي هو فيه .

وكان في (برمتن) تاجر غني يدعى (ريشار) عرفه بحبه لجمع التحف الاثارية والقطع الذهبية الثمينة .

وكان جيمس في تلك الايام يجمع العقود والخواتم الذهبية القديمة ليصهرها جميعاً في بوتقة واحدة ثم يبيعها ذهباً سبيكاً خالصاً . لذلك اتجه بافكاره الى بيت التاجر الغني وجعل يمني نفسه بما سيجد فيه من الغنائم الوفيره .

* * *

لم يشعر جيمس في طريق عودته بشيء من وخز الضمير فقد اخذ يقول لنفسه تهدئة لروعه : « لقد عرفني ، ولم يكن بوسعي ان افعل غيرما فعلت ، بل لم يكن لي بد من ان افعله والا كان جزائي الموت او الحبس ! »

ثم اخذ يستعيد في ذاكرته اماثر الدهشة التي ارتسمت

على وجه « ريشار » حين رآه في الغرفة ، لكنه لم يلبث أن ابتسم. ذلك لانه لم يكن ليعترف امام نفسه بان عليه شيئاً من الملامة : لئن مات ريشار فان موته كان لامفر منه ؛ ولم يكن هناك اي مجال للتفكير والتردد . وعلى كل فهو رجل هرم ، لم يكن باقياً له من العمر سوى بضع سنوات .

بعد هذا التفكير شعر بشيء من الأطمئنان والراحة ثم من ذا الذي كان يجرؤ على اتهام رجل محترم مثله بالجريمة والسرقة ؟! وهو فوق ذلك لم يترك في الغرفة اثراً تعرف منه ادانته ، ولم يصادف في طريقه احداً لا في الذهاب ولا في الأياب . فالشارع الرئيسي في البلدة كان مقفراً وغارقاً في الظلام الدامس ، وحين عاد الى بيته او صد الباب وراءه .

وهو يعيش في ذلك البيت وحيداً ، لاتأتيه الخادم الا في النهار . وما كاد يصل الى مخدعه في اقصى البيت حتى اسرع الى اغلاق النوافذ واسدال الستائر الصفيقة عليها قبل ان يضيء الكهرباء .

ثم دس يده في جيبه واخرج منها قفازاً واحداً ، وفجأة ظهرت على وجهه امائر الحيرة والارتباك !

ها هو يدخل يديه في جميع جيوبه ويخرجها بسرعة وبلا وعي ، ويبقى مدة يبحث عبثاً . واخيراً وقف واجماً في وسط الغرفة دون ان يجرأ على تفريغ جيوبه من القطع الذهبية وعلى وجهه اصفرار الموت . من الممكن ان قد نسي قفازه الثاني في بيت (ريشار) ولكنه يذكر جيداً انه خلع الاثنين ووضعها على الطاولة قبل ان يملأ جيوبه من القطع الثمينة ، وقد اعادها الى جيبه حين اضطر ان يخرج من الغرفة على جناح السرعة . ولكن المهم الآن انه قد فقد منها واحداً ، وان اسمه وعنوانه منقوشان على قفاه .

فلا بد اذن من العودة الى بيت ريشار ؛ الى تلك الغرفة المظلمة التي يرقد فيها القتيل ! لكن صورة ذلك الرجل لم تلبث ان تراءت له واقفة في الباب تناديه . فارتعدت فرائصه ، وجعل العرق يتصبب من جسمه وغاب في بحر من التردد .

اخيراً اخذ يتمتم في نفسه قائلا : لا ، لا استطيع الذهاب وهنا تراءت له المقصلة ، فشعر كان سكيناً حاداً اخترقت فؤاده . لم يكن ذلك الشبح ليخيفه البتة في ايامه الماضية ، لكنه لم يكد يتخيله اليوم حتى شعر برجليه تحملانه الى الشارع المظلم القفر . وقد ظهرت له المسافة بعيدة جداً بين بيته وبيت ريشار . وكان مضطرب الأفكار حتى انه كان يتخيل في كل زاوية شبحاً وفي كل ورقة تتحرك على الارض انساناً يتبعه .

اخيراً وصل الى البيت وتسلق الجدار الى النافذة وسط بحران من العرق والرجفان . كانت الغرفة ماتزال كما تركها غارقة في الظلام الدامس ، وكان عليه ان يفتح النور ليهتدي الى القفاز ، والمفتاح بالقرب من الجثة . فليجمع اذن قواه وليسدل الستائر على النوافذ ، وليخترق ارض الغرفة . لكنه اصطدم بشيء طري في الطريق ، فارتعدت فرائصه ، واشتد خفقان قلبه . اخيراً لامست انامله مفتاح الكهرباء وامتلأت الغرفة بالنور .

لم يزل ريشار ممدداً على الارض وعيناه مفتوحتان . ولم يتمكن جيمس من اطالة النظر اليه ، لكنه انحنى عليه ومد يده ليخرج السكين من الجثة . فلم يرعه الا صوت ارتفع من ورائه يقول :

« ارفع يديك ايها الشقي ؛ ارفع يديك ! » والتفت جيمس وراءه بذهول ، فيرى في الباب ابن « ريشار » القتيل مع شرذمة من الشرطة يسددون اليه مسدساتهم ، فينهض متثاقلا ويرفع يديه مرغما .

* * *

وبينما كان الضابط يسوق جيمس الى السجن ، اقترب منه وقال له : تبا لك ايها الشقي ، فقد كان من المستحيل علي ان ارتاب بك ولو لحظة واحدة ، ولو لم تكن متلبساً بالجريمة لما اهتدى اليك احد !

لم يبس جيمس ببنت شفة ، لكنه طلب ان يؤذن له بان يعرج على البيت ليأخذ منه معطفه لأن البرد كان قارساً في تلك الساعة المظلمة قبيل الفجر .

ودخل جيمس الدار يتبعه الحراس ، فعثرت رجله بشيء على الارض . واضاء الضابط الغرفة ، فانحنى جيمس ليرفع ذلك الشيء فاذا هو القفاز الذي خيل اليه انه نسيه في غرفة الجريمة . وهنا خارت قواه فسقط مغشياً عليه ولفظ انفاسه الاخير

لبنان : حسن ياشوي